

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

رصد ظاهرة الإبدال الصوتي في لهجة الجللفة

وتفسيرها في ضوء القوانين العامة للتطور اللغوي.

Monitor the phenomenon of audio substitution in the Djelfa dialect and its interpretation in light of the general laws of linguistic development.

سفيان ناعم¹، حمزة جمال الدين²

¹ المركز الجامعي الشريف بوشوشة بأفلو، (الجزائر)، s-naam@cu-aflou.edu.dz، مخبر الدراسات

النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر.

² المركز الجامعي الشريف بوشوشة بأفلو، (الجزائر)، h-boudjemel@cu-aflou.edu.dz، مخبر

اللسانيات وتكنولوجيا التعليم وقضايا الأمن اللغوي.

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/03/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

إنّ دراسة اللهجات العربيّة المعاصرة يمكن أن توصل الباحث إلى معرفة شيءٍ عن تاريخ العربية الفصحى وكيفية تطورها، ولهجة الجلفة من اللهجات الجزائريّة الحيّة التي أثبت الباحثون قربها من العربية الفصحى، فالمتأمل فيها يلحظ أنّها تتصف بسمات صوتيّة يمكن إرجاعها إلى لغات العرب قديماً. ودراستنا هذه تسعى إلى إثبات أنّ ظاهرة الإبدال حصلت نتيجة مسوغات صوتيّة، يمكن تفسيرها من خلال بحث مخارج وصفات الأصوات التي حدث فيها الإبدال، كما أنّ هذا الإبدال يُعد ظاهرة من ظواهر التطور اللغوي الذي يصيب اللغات، فيمكن تفسير هذه الظاهرة في ضوء قانوني التطور اللغوي العامة، وهما قانون الاقتصاد في الجهد وقانون الأقوى.

الكلمات المفتاحية: الإبدال الصوتي ; لهجة الجلفة ; التطور اللغوي ; قوانين التطور اللغوي.

Abstract :

Studying contemporary Arabic dialects can lead the researcher to know something about the history of Classical Arabic and how it developed. the Djelfa dialect is one of the living Algerian dialects whose closeness to Classical Arabic has been proven by researchers. Anyone who meditates on it will notice that it is characterized by phonetic characteristics that can be traced back to ancient Arab languages.

Our study seeks to prove that the phenomenon of substitution occurred as a result of phonetic justifications, which can be explained by examining the origins and characteristics of the sounds in which the substitution occurred. Also, this substitution is considered a phenomenon of linguistic development that affects languages. This phenomenon can be explained in light of the general laws of linguistic development. They are the law of economy of effort and the law of the strongest.

Keywords: phonetic substitution ; the Djelfa dialect ; linguistic development ; laws of linguistic development.

مقدمة:

يُعد الإبدال من أكثر التغيرات الصوتية شيوعاً في العربية ولهجاتها، والناظر في تراثنا العربي يجد أنّ اللغويين والنحاة العرب القدامى أولوا اهتماماً كبيراً بظاهرة الإبدال، حيث أفردوا لها المصنفات، ومنهم من تحدث عنها في مواضع متفرقة من كتابه .

وأثرنا البحث في هذه الظاهرة متتبعين وجودها في لهجة الجلفة باعتبارها أحد اللهجات العربية المعاصرة، وجاءت معالجتنا لهذه الظاهرة بالتفسير والتحليل في ضوء القوانين العامة التي تحكم تطور اللغات لكي نتعرف على الخصائص الصوتية التي تتميز بها هذه اللهجة.

والإشكالية التي يطرحها هذا البحث تتمثل في السؤال عن كيف يمكننا الاستعانة بقوانين التطور اللغوي العامة لبيان حقيقة ظاهرة الإبدال الصوتي من خلال تتبعها في اللهجة الجلفاوية، قصد الكشف عما أصاب العربية الفصحى من تطور على مر تاريخها؟

ومن الفروض التي يمكن أنّ توضع حول هذه الإشكالية ما يلي:

* المتكلم يسلك في نطقه للأصوات أسهل السبل وأخفها على لسانه، مما يجعله يلجأ إلى إبدال أصوات بأخرى.

* دراسة مخارج وصفات الحروف التي حصل لها الإبدال ستكشف لنا عن سير التطور الذي يصيب اللغات.

* لهجة الجلفة تعد من اللهجات العربية المعاصر فهي بالتأكيد تعد صورة متطورة عن الفصحى ولغاتها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي، وذلك من خلال وصف الظاهرة كما هي على ألسنة الناطقين بهذه اللهجة، والمنهج المقارن يبحث أوجه التشابه والاختلاف بين الأصوات التي حصل بينها الإبدال.

ويهدف بحثنا هذا إلى معرفة شيء عن التطور الذي أصاب اللغة العربية باعتبار لهجة الجلفة صورة متطورة عنها.

المبحث الأول: ظاهرة الإبدال لدى اللغويين والنحاة العرب قديماً وحديثاً

المطلب الأول: مفهوم الإبدال

بالرجوع إلى مصنفات القدماء نجد أنّ ابن فارس أورد في كتابه الصحاح: "من سنن العرب: إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ويقولون (مَدَحَه وَمَدَّهه) و(فَرَس رَقْل ورَقْن) وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء"¹ وهذا التعريف قد نقله من جاء بعده ولم يزد عليه سوى المحدثين، وما نلاحظه على كلام ابن فارس هو أنّ الإبدال يحدث بإرادة المتحدث لما عبّر عنه بقوله إقامة، والأصح هو قيام الحرف مكان الحرف؛ لأنّ هذا الإبدال يحصل لا شعورياً فلا دخل لإرادة المتكلم فيه، وهذا ما ذهب إليه المحدثون من أنّه تلقائي غير متعمد²، وما يُلحظ كذلك على تعريفه

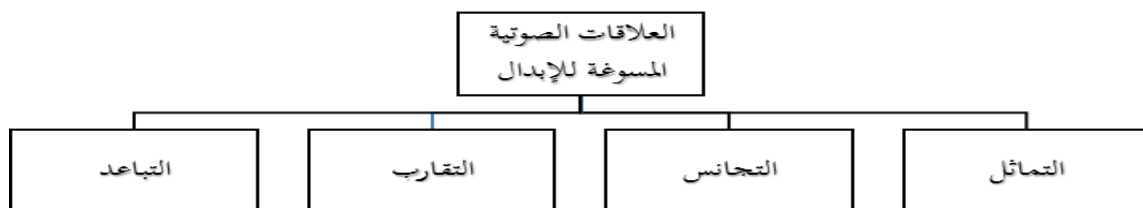
أنّه جعل الإبدال في مطلق الحروف، والعلماء سواءً قديماً أم حديثاً فرّقوا بين الإبدال والإعلال بالقلب، فالإبدال أعم من القلب؛ أيّ فكل قلب إبدال وليس العكس.

أمّا فيما يخص المحدثين فنجد ممن عرّف الإبدال ربّحي كمال قائلا: "الإبدال هو إقامة حرف مكان حرف يقرب منه مخرجا مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، وهو ما يسمى عند أهل فقه اللغة باسم الاشتقاق الأكبر"³ فلاحظ أنّه زاد على تعريف ابن فارس أنّ الإبدال لا يحدث إلا في حرف واحد من الكلمة دون بقية الحروف التي تبقى على حالها، وأنّه يسمى في فقه اللغة الاشتقاق الأكبر، وأكثر ما يجب التركيز عليه والملاحظ في تعريفه هو إضافته لشرط قرب المخرج، وهذا ما سنناقشه حين حديثنا عن مسوغات الإبدال.

المطلب الثاني: علاقة الإبدال بالأصوات ومسوغاته

يرى إبراهيم أنيس أنّ معظم الكلمات التي جاءت في كتاب ابن السكيت فيها صلة وثيقة بين الحرف المبدل والحرف المبدل منه في الكلمة التي حصل فيها الإبدال⁴، فوجوب توافر صلة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه هو ما التمسناه في تعريف ربّحي كمال من شرط قرب المخرج لحصول الإبدال في الكلمة، والعلماء العرب القدامى في هذه المسألة انقسموا فريقين ففريق لا يشترط وجوب تقارب المخارج وهم ابن السكيت والزجاجي وأبو الطيب اللغوي الذي يقول: "ليس المراد بالإبدال أنّ العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف، وإنّما هي لغات مختلفة لمعان متفقة"⁵ فيرى أنّ اللفظتين تتقاربان لاشتراكهما في معنى واحد وتختلفا في حرف واحد أي أنّ الاختلاف في النطقين مرجعه إلى تباين لغات العرب ودليله على ذلك "أنّ قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطور غير مهموزة..."⁶ وفريق يشترطون ذلك ومنهم الفراء وابن جني وأبو الحسن بن سيده (ت 458هـ) فيقول الفراء: "فتقلب السين صادًا، صورتها صورة الطاء، واستخفوها ليكون المخرج واحدا كما استخفوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: الصّراط والسرّاط"⁷ أما ابن سيده فقد قال: " فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتّة فقليل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق"⁸.

أما المحدثون فعندهم "لا يكون الإبدال إبدالاً حقا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية، كقرب المخرج، أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة"⁹ ويبين لنا عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق¹⁰ العلاقات الصوتية التي تسوّغ إبدال حرف مكان حرف نصوغها في المخطط الآتي:



المبحث الثاني: مفهوم التطور اللغوي وقوانينه

المطلب الأول: مفهوم التطور اللغوي

التطور اللغوي هو التغير التدريجي الذي يحدث للغة، فيجعلها تتحول من طور إلى طور فينشأ عن هذا التغير والتحول اختلاف لغة عصرٍ عن العصر الذي يسبقه، فاللغة تتغير بفعل الزمن من جيل إلى آخر ويظهر أثر هذا التغير جلياً بعد أجيال متلاحقة، ويشبّهوها المحدثون بالكائن الحي فلا بد أن تصيبها سنة التطور فتخضع لما تخضع له الكائنات الحيّة في نشأتها ونموها، ومرورها من الطفولة إلى الشيخوخة حتى تموت، يقول رمضان عبد التواب: " وأول هذه الأمور أنّ اللغة كائن حي؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء"¹¹.

واللغة كما يقول إبراهيم أنيس: " دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها، والمحافظة على خصائصها"¹². وتطورها هذا " إنّما يخضع في سيره لقوانين"¹³ كما يقول رمضان عبد التواب وهذه القوانين " جبرية ثابتة مطردة النتائج واضحة المعالم محققة الآثار، ولا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه"¹⁴، وفي هذا السياق لا يفوتنا أنّ نشير إلى أمر ألا وهو أنّ هذا التطور اللغوي فيما يخص الأصوات قد قسّمه رمضان عبد التواب¹⁵ إلى نوعين من التغيرات هما: التغيرات التاريخية¹⁶ ويطلق عليها فوزي الشايب¹⁷ المطلقة والتغيرات التركيبية¹⁸ ويسمّيها فوزي الشايب المقيدة، والقوانين التي تؤدي إلى هذه التغيرات سنبينها فيما يلي.

المطلب الثاني: قوانين التطور اللغوي

قسّم فوزي الشايب¹⁹ قوانين التطور اللغوي إلى قوانين خاصة باللغة العربية وأخرى عامة، فالقوانين الخاصة متمثلة في خصائص البنية المقطعية والنبر، أما القوانين العامة -والتي سنتناولها بشيء من التفصيل لصلة بحثنا بها- فهي:

1- قانون الأقوى

ترجع صياغة هذا القانون إلى عالم الأصوات الفرنسي موريس جرامونت، ويذهب فوزي الشايب²⁰ إلى أنّ كلا من مكّي بن أبي طالب (ت 437هـ) وأبي محمد البطليوسي (ت 521هـ) قد سبقاه إلى هذا القانون بنصهما "على أنّ الصوت الأضعف يقلب إلى الأقوى"²¹ وهذا ما قرّره بعدهما جرامونت بـ "أنّ الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان فيما بينهما التأثير والتأثر، والأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف"²².

2- قانون الاقتصاد في الجهد

واضع هذا القانون هو العالم الأمريكي زِفْ (Zipf)، ويرى أصحاب هذا القانون "أنّ الإنسان في نطقه أصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتلمس أسهل السبل"²³ بحيث يبرز المعاني ويوصلها إلى المتحدثين معه، فقلب الصوت المهموس إلى صوت مجهور بسبب مجاورته لصوت آخر مجهور فهو " في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض والانبساط في المزمار الذي يفتح مع المهموس، ويضيق مع المجهور ليتذبذب الوتران الصوتيان"²⁴ وهذا القانون نجد له إشارات في مؤلفات القدماء من علمائنا فيما أسموه بالثقل والخفة، فها هو سيبويه نجد في كلامه

عبارات: "فكروها أن يردّوا حرفا قد استثقلوه"²⁵ و "كراهية أن يكثر في كلامهم ما يستثقلون"²⁶، وبالإمكان إرجاع الكثير من التطورات الصوتية الحاصلة في اللهجات العربية الحديثة إلى هذا القانون، وهذان قانونان "يعملان جنبًا إلى جنب في بعض الظواهر الصوتية"²⁷ كما بين فوزي الشايب "فيكون أحدهما علة عمل الآخر، أو مقدمة له، وينفرد أحدهما أحيانًا بالعمل في ظواهر صوتية أخرى"²⁸.

المطلب الثالث: علاقة الإبدال الصوتي بالتطور اللغوي وقوانينه

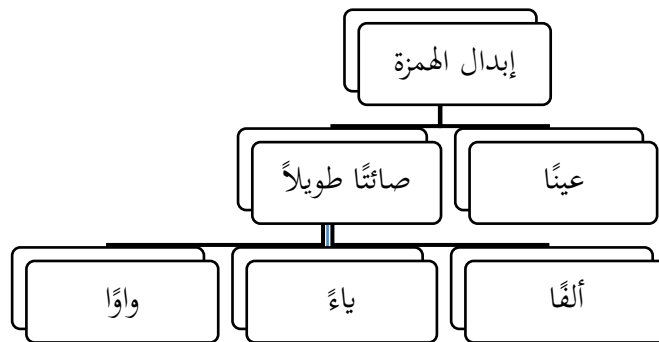
إذا بحثنا العلاقة بين الإبدال الصوتي والتطور اللغوي فالإبدال يعدّ "عاملاً فعّالاً من عوامل نمو اللغة"²⁹ وتطورها، فيمكن تفسير ظاهرة الإبدال الصوتي من خلال التطور اللغوي ببحث أي النطقين هو الأصل وأيها هو الفرع، بأنّ نستعين بالقوانين الصوتية، فالإنسان في نطق أصوات لغته يسلك أيسر السبل وأخفها على جهازه النطقي. إذا جئنا إلى الصورتين فاظت نفسه وفاضت لنفسر أيّهما الأصل نرجح الكفة إلى أنّ فاظت هي الأصل وفاضت هي الفرع؛ لأنّ "الصوت الرخو يتطور عادة إلى نظيره الشديد"³⁰ ونفسر أنّ الثاء في ثوم حصل لها إبدال فصارت فوم، فأبدلت فاءً وهذا؛ لأنّ الثاء والفاء تتفقان في صفتي الهمس والرخاوة وتتقاربان في المخرج، فمخرج الفاء يلي مخرج الثاء مباشرة بحسب ما أقرّه سيبويه في كتابه.

فالإبدال "يكثر دورانه في الكلم تبعاً لقانون التساهل العام، والتخفيف"³¹ الذي يعدّ قانوناً عامّاً من قوانين تطور اللغات.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية مختارة عن لهجة الجلفة وتفسيرها في ضوء قوانين التطور اللغوي العامة

المطلب الأول: إبدال الهمزة حرفاً صامتاً (عيناً) أو صائتاً طويلاً (ألفاً، ياءً، واوً)

نجد أنّ الإبدال الحاصل للهمزة في لهجة الجلفة يكون على النحو الآتي



والجدول الموالي يبين مخرج الهمزة وصفاتها مع الحروف التي تُبدل منها

الحروف	مخرج الحرف	صفات الحرف
الهمزة	حنجري	شديد (انفجاري)، مهموس (عند القدماء مجهور)، مرقق.

الألف	أقصى الحلق (عند سيبويه) أو هوائي	متوسط (بيني)، مجهور، شبه صائت.
الياء	هوائي	متوسط (بيني)، مجهور، شبه صائت.
الواو	هوائي	متوسط (بيني)، مجهور، شبه صائت.
العين	حلقي	رخو (احتكاكي) (عند القدماء متوسطة)، مجهور، مرقق.
الراء	لثوي	متوسط، مجهور، مرقق/ مفخم.

والمتتبع للكلمات التي تحتوي على الهمزة في لهجة الجلفة يجد أهلها يلجؤون دائما إلى تخفيفها بالحذف حيناً أو الإبدال حيناً آخر، وسنعرض للأمثلة التي تم رصدها فيما يخص إبدال الهمزة على النحو الآتي:

إبدال الهمزة عيناً

نلاحظ أنّ إبدالهم الهمزة عيناً محدود جداً، إذ جاء في كلمة واحدة هي في نطقهم قرعان بدل قرآن، إلا أنه يُلاحظ على المتكلم بهذه اللهجة محاولة إبدال الهمزة عيناً في كلمة البراء بقولهم البراع خاصة كبار السن، فكلتا الكلمتان الهمزة فيهما مجاورة للراء، إلا أنّ بين الهمزة والراء في الكلمة الثانية فاصل هو الألف، وهذا التجاور في الكلمتين اللتين حدث فيهما الإبدال دون غيرهما، يجعلنا نذهب إلى وجود مسوّج صوتي يجعل المتكلم يلجأ إلى هذا الإبدال قصد التخفيف، وهذا المسوّج على مستوى العلاقة الاستبدالية بين الهمزة والعين هو كون الحرفان متقاربين في المخرج، فالهمزة من الحنجرة والعين من وسط الحلق والهمزة حرف شديد في حين أنّ العين حرف رخو حسب المحدثين أو متوسط حسب القدماء؛ مما يجعله أخف وأيسر في النطق من الهمزة، أما العلاقة التركيبية فالراء تتصف بأنّها متوسطة وكذلك العين من الأصوات المتوسطة؛ مما يجعل هناك توافقاً في هذه الصفة فيُحدث تجانساً بين الحرفين من الناحية الصوتية.

إبدال الهمزة ألفاً

ومن أمثلة هذا الإبدال نجدهم يقولون: كاس، فاس، فار، فال، راي، يأكُل، لا بأس، وتنطق في الأصل كَأَس، فَأَس، فَار، فَال، رَأي، يَأْكُل، لا بَأَس، فالملاحظ أنّ الهمزة في هذه الكلمات ساكنة وما قبلها مفتوح، فأُبدلت ألفاً لتكون مجانسةً لحركة الحرف الذي قبلها وهي الفتحة لأجل التخفيف، وهذا مما تحدث عنه سيبويه قائلاً: "وإذا كانت الهمزة ساكنة، وقبلها فتحة، فأردت أنّ تخفف، أبدلت مكانها ألفاً"³² فإذاً يلجأ المتكلم بهذه اللهجة إلى إبدال الهمزة تسهيلاً للنطق؛ لأنّ في نطق الهمزة ثقل على الجهاز النطقي للمتكلم، فالهمزة حرف يخرج من الحنجرة فهو أدخل في الحلق، كما أنّه يتصف بصفات الشدة والجر (لدى القدماء) وهي صفات قوى، وهنا يحضرنا كلام لابن يعيش يتحدث عن الهمزة قائلاً: "اعلم أنّ الهمزة حرف شديد مستقل، يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخَلَ

الحروف في الحلق"³³ فخروجه من أقصى الحلق واتصافه بالشدة جعله مستثقلًا في النطق " فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف"³⁴

إبدال الهمزة ياءً

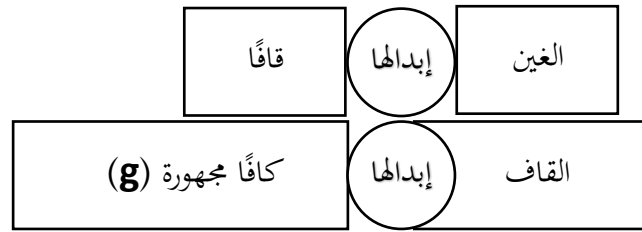
ومن الأمثلة التي تم رصدها: حيت، ذيب، بير، يبر، قبائل، حوايج، شايح، رايب، زايد، مايل، قايد، فايده، مائده، وفي الأصل تنطق: حئت، ذئب، يئر، إيرة، قبائل، حوائج، شائع، رائب، زائد، مائل، قائد، فائدة، مائدة، فما يلاحظ على الكلمات الثلاث الأولى أنّ الهمزة ساكنة والحرف الذي قبلها مكسور، فأبدلت ياءً لتجانس حركة الكسرة التي قبلها، فسيبويه يقول: "فإنّما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة؛ لأنّه ليس شيء أقرب منه، ولا أولى به منها"³⁵ أمّا الكلمات السبع التي تليها فيلاحظ أنّ الهمزة مكسورة وقبلها ألف فصارت الهمزة ياءً لتناسب حركتها وهي الكسرة، أمّا الكلمتين الأخيرتين فأبدلت الهمزة ياءً لأنّ الهمزة كانت مكسورة في الأصل، إلا أنّه يلاحظ أنّ الياء في الكلمات السبع مكسورة في نطقهم أمّا في الكلمتين الأخيرتين فهي ساكنة، وفي كل هذا يلجأ المتكلم إلى إبدال الهمزة ياءً لاستثقاله الهمزة من جهة كما سبق وفسرنا، ولأنّ الياء حرف هوائي يتصف بأنّه متوسط فهو أسهل في النطق وجاء دون غيره لتناسبه مع حركة الكسرة.

إبدال الهمزة واوًا

والأمثلة في هذا الإبدال قليلة جدًا مقارنة بإبدال الهمزة ألقًا أو ياءً التي هي كثيرة في هذه اللهجة، ومما تم رصده في إبدال الهمزة واوًا قولهم: مومن، مشوم، بدل من مؤمن، ومشؤوم، فنلاحظ أن الهمزة في الكلمة الأولى ساكنة وما قبلها مضموم وأبدلت واوًا لتجانس الحركة التي قبلها، أمّا الكلمة الثانية فنلاحظ أن قبلها سكون وهي مضمومة فأبدلت واوًا لتناسب الواو مع حركة الهمزة، والواو مثلها مثل الياء فهي هوائية ومتوسطة وهذا يجعلها أخف في النطق على المتكلم بهذه اللهجة.

المطلب الثاني: إبدال الغين قافًا، والقاف كافًا مجهورةً (g)

قبل أن نعرض الأمثلة التي تم رصدها وتفسيرها صوتيًا لبحث كيف تطورت هذه الأصوات في لهجة الجلفة، نقدّم المخطط الآتي الذي يبين الإبدال الحاصل بين الأصوات الثلاث:



أما الجدول الموالي لهذا المخطط فيعرض مخارج وصفات هذه الأصوات الثلاثة على النحو الآتي

الحروف	مخرج الحرف	صفات الحرف
الغين	طبقي	رخو (احتكاكي)، مجهور، منفتح، مستعل.
القاف	لهوي	شديد (انفجاري)، مهموس (عند القدماء مجهور)، منفتح، مستعل.
(g)	طبقي	شديد (انفجاري)، مجهور، مرقق.

نلاحظ أنّ في جميع الكلمات التي تُنطق في الأصل غينًا تُبدل الغين قافًا ومن أمثلة ذلك في لهجة الجلفة: قرال، سقير، قراب، قنار، قير، الله قالب، مقبون، مقرب، قالي، قني، فهذه الكلمات تنطق في الأصل: غزال، صغير، غراب، غبار، غير، الله غالب، مغبون، مغرب، غالي، غني، وهذا الإبدال نجده مطردًا في جميع الكلمات التي تحتوي على الغين في لهجة الجلفة، وكذلك شائع في جميع المناطق التي تتحدّث هذه اللهجة حتى أنّها تعتبر من السمات الصوتية المميزة لها عن غيرها من اللهجات في الجزائر، حتى أنّه وصل بعامتهم من غير المجيدين لقراءة القرآن النطق بالغين قافًا، فنجدهم مثلاً في قوله تعالى: "غاسق" ³⁶ تنطق عندهم قاسق، و"المغضوب" ³⁷ تنطق المقضوب.

والذي نرجح أنّه سوّغ للمتكلمين بهذه اللهجة صوتيًا أنّ يبدلوا الغين قافًا هو القرب في المخرج، فمن الجدول أعلاه نلاحظ أنّ الغين طبقي والقاف لهوي كما وصفهما المحدثون فهما قريبان في المخرج، في حين تختلفان في الصفات، فالغين رخوة (احتكاكية) ومجهورة، أمّا القاف شديدة (انفجارية) مهموسة عند المحدثين ومجهورة عند القدماء، وتختلفان في صفات الانفتاح والاستعلاء والترقيق، فالذي جعل المتكلم بهذه اللهجة يبدل الغين قافًا هو كون القاف مهموسة - هذا إذا أخذنا برأي المحدثين - أمّا الغين فمجهورة، والمهموس أخف من المجهور في النطق؛ لأنّ المجهور يتذبذب الوتران الصوتيان حين نطق به على خلاف المهموس، ولكنّ هذا التبرير سرعان ما يتلاشى حينما نلاحظ أنّ الغين رخوة والقاف شديدة والشدة صفة قوة، فهنا نرى الأمر عكسي؛ أي أنّ الضعيف أُبدل حرقًا قويًا، أمّا إذا أخذنا برأي القدماء بأنّ القاف مجهورة فهنا تتفق الغين والقاف في صفة الجهر، وهذا يجعل رأينا فيما يخص تدخل قانون الأقوى بإبدال الغين الرخوة إلى القاف الشديدة صحيحًا؛ لأنّ الشديد أقوى من الرخو،

ويمكن أن ندعم هذا الرأي بأنّ هذا المسوّغ الصوتي ممكن، بسبب أنّ أهل منطقة الجلفة من البدو ويبتئهم معروف أنّها شبه صحراوية قاسية شديدة، فأثرت على نطقهم فجعلتهم يختارون النطق الأقوى على الضعيف.

ويدخل هذا النوع من التغيرات فيما يسمى بالتغيرات التاريخية؛ لأنّه يصيب صوت الغين في جميع سياقاته، فهو تحول في النظام الصوتي، وهذا الأمر لا يمنعنا من التخمين في إمكانية حصول هذا الإبدال في أول الأمر نتيجة تجاور الغين مع حرف آخر ثالث في سياق ما فآثر فيها، ونرجح أن يكون هذا الحرف موصوفاً بالشدة (انفجاري)؛ لأنّ الغين رخوة وحين يجاوره الحرف الشديد يؤثر القوي في الضعيف، فيصيب الغين تحول إلى صوت القاف القريب له في المخرج والمتفق مع الحرف الثالث في صفة الشدة، ثم بعد ذلك حصل لدى المتكلم إطراد لهذا الإبدال ليشمل جميع السياقات التي يرد فيها الغين، مما أحدث تغييراً في النظام الصوتي كله، وهذا الرأي الذي نعرض له يُعد من محض التخمين لا غير الذي نرجح حدوثه تاريخياً.

في حين أنّ إبدالهم القاف إلى كاف مجهورة (g) في كثير من الكلمات من أمثلة ذلك قمر، قال، قلب، قبلة، قصبه، قريب، يلحق، رقبة، قدرة، قطعة، عقرب، يتقدم، يحقر، بقرة، قمل... وغيرها الكثير تبدل القاف هنا بحرف يشبه نطق الجيم القاهرية (g)، كما أنّه يلاحظ أنّ بعض الكلمات لا تبدل فيها القاف كافاً مجهورة (g) مثل قولهم قارص (أي الليمون)، قلم، قصة، قرآن، قصر، عقل، يتحقق، تقلق، مقوّس (أي يتخذ شكلاً مقوساً)، قضية... فنطقها يكون كما في العربية الفصحى والأرجح أنّ هذه الكلمات ظهرت حديثاً في اللهجة الجلفاوية أو عُرفت عند أهل الجلفة حديثاً فلم يصبها تطور صوتي بعد، وإبدال القاف كافاً مجهورة (g) ما يسوغه صوتياً هو التقارب في المخرج، فالكاف المجهورة (g) كما وصفها العلماء العرب القدماء مخرجها بين مخرجي القاف والكاف، فنلاحظ أنّ القاف في تطورها إلى هذا الحرف الجديد في النظام الصوتي، تقدّمت في مخرجها إلى الأمام قليلاً نحو مخرج الكاف إلا أنّ الصوت الجديد يختلف مع الكاف في كون الكاف مهموسة وهذا الصوت مجهور، فهنا تتفق القاف باعتبار رأي القدماء مع الـ (g) في صفتي الجهر والشدة وهذا مسوّغ صوتي يمكن أنّ نرجحه في حصول هذا الإبدال، ومن الباحثين من يذهب إلى كون أنّ صوت الـ (g) أصيل، بدليل وجوده في لغات العرب واللغات السامية فبالنّسبة لم يصبه تطور، إنّما هو صورة قديمة كانت موجودة من قبل، وبقي لها وجود في اللهجات الحديثة واختفت من النطق الفصيح، فهذا يجعلنا نرجح أمرين أولهما أنّ هذه القاف حدث لها تغير تركيبى نتيجة تجاوره مع حرف آخر ثالث أثر فيها، ثم اطراد هذا التغير كما سبق ورجحنا فيما يخص الغين، بدليل وجود كلمات في كثير منها تنطق (g) وفي البعض الآخر تنطق قافاً على صورتها الأصلية كما في الفصحى، وثانيهما أنّ الـ (g) يرجح أنّها بقايا لنطق قديم بدليل وجوده في لغات العرب واللغات السامية كان موجوداً مع القاف الفصيحة، وإن رجحنا حدوث تطور لها في زمن الفصاحة فيكون هذا التطور قديم جداً قبل زمن نزول القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الإبدال بين اللام والنون

من الأمثلة التي نجدتها في لهجة الجلفة في الإبدال بين اللام والنون هو في قولهم: فنجال، قلم، إسماعين، وفي الأصل تنطق: فَنجان، غَنَم، إسماعيل، فالملاحظ أنَّ في الكلمتين الأولى والثاني أنَّ النون أُبدلت لَامًا، وفي الثالثة حدث العكس بإبدال اللام نونًا، ولكي نتبين المسوغات الصوتية لهذا الإبدال علينا أن نعرض لمخارج وصفات الحرفين اللام والنون وما جاورهما من حروف في سياق هذه الكلمات في الجدول الآتي:

الحرف	مخرج الحرف	صفات الحرف
اللام	لثوي	مجهور، متوسط، جانبي، في الأصل مرقق وفي حالات معينة مفخم.
النون	لثوي	مجهور، متوسط، أنفي، في الأصل مفخم وفي حالات معينة مرقق.
الجيم	غاري	مجهور، مزدوج (عند القدماء شديد)، مرقق.
القاف	لهوي	مهموس (عند القدماء مجهور)، شديد (انفجاري)، مفخم.
العين	حلقي	مجهور، رخو (احتكاكي وعند القدماء متوسط)، مرقق.

نلاحظ أنَّ إبدال النون لَامًا في قولهم فنجال بدل فنجان - بعد إجراء مقابلة بين مخارج وصفات الحرفين النون واللام من جهة وهذين الحرفين مع الجيم من جهة أخرى - يتبين لنا أنَّ المسوَّغ الصوتي لهذا الإبدال هو أنَّ العلاقة العمودية على محور الاستبدال مسوَّغها الصوتي هو أنَّ النون واللام من مخرج واحد وهو كونهما لثويان، ويتفقان في صفات الجهر والتوسط والترقيق (مرققان في هذا السياق)، أمَّا العلاقة الأفقية على محور التركيب فمسوَّغها الصوتي هو أنَّ الجيم يتصف بصفتي قوة هما الجهر والشدة (باعتبار ما قاله القدماء) فيطلب صوتًا يتصف بالقوة، ونلاحظ من الجدول أعلاه أنَّ النون واللام تتفقان في الصفات، إلَّا أنَّ هناك اختلافًا يسير هو كون النون يتصف بالغنة أي خروجه من الخيشوم وبالتالي يكون خروجه أيسر، وأمَّا اللام فتتصف بصفة قويَّة هي الانحراف فهذا يجعل المتكلم يختار اللام على النون لمجاورتها الجيم.

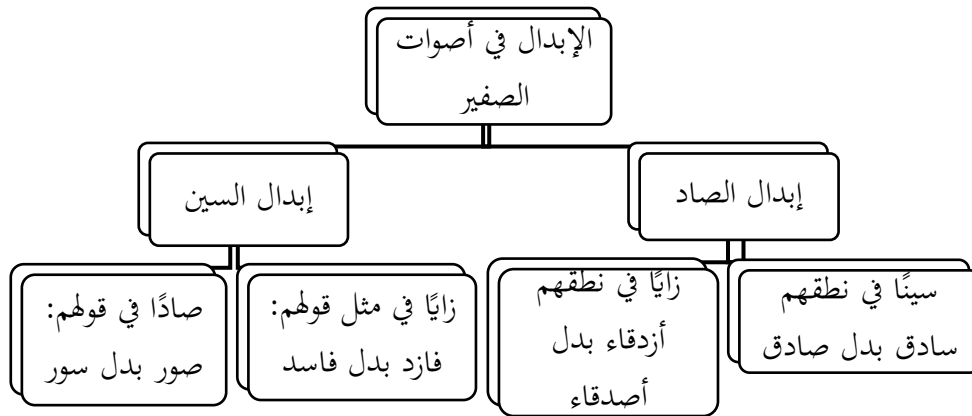
أمَّا التفسير الذي نقدّمه في قولهم قلم بدل غنم، ففي الحقيقة هنا حدث إبدالان الأول إبدال الغين قافًا وسبق الحديث عنه، فصارت الكلمة قَنَم فيكون بالتالي المسوَّغ على المحور الاستبدالي كما سبق وفسرنا ذلك بأنَّ النون واللام من مخرج واحد، في حين أنَّ العلاقة الأفقية هو تجاور النون والقاف، والقاف كما هو مبين في الجدول أعلاه يتصف بصفتي قوة وهما الجهر (بحسب ما قاله القدماء) والشدة، فهو يطلب صوتًا يتصف بصفة من صفات القوة كما سبق وفسرنا مع الجيم، فأبدلت النون لَامًا لاتصاف اللام بصفة الانحراف وهي من صفات القوة.

وحين نجيء لقولهم إسماعين بدل إسماعيل، فهنا نلاحظ حدث العكس بإبدال اللام نونًا، فالملاحظ أنَّ العين أثرت في اللام فهو تأثر مدبر ناقص منفصل، فالعلاقة العمودية سبق وفسرناها في المثالين السابقين، أمَّا العلاقة

الأفقية فمستوؤها الصوتي هو أنّ من الجدول أعلاه العين رخوة أو متوسط تتصف بصفة ضعف سواء الرخاوة أو المتوسط، فهي تطلب أضعف الصوتين لحدوث توافق صوتي، والنون أضعف هنا من اللام كما سبق وفسرنا، وفي الحقيقة أنّ حرفي النون واللام من أسهل الأصوات نطقاً مقارنة بالأصوات العربية الأخرى فملتكلم يبدل أحدهما مكان الآخر لكونهما من مخرج واحد ويبقى السياق هو الذي يحدد أيهما يبدل مكان الآخر.

المطلب الرابع: الإبدال بين حروف الصفيير (السين، الصاد، الزاي)

مما تتبعناه وتم رصده على ألسنة الناطقين بلهجة الجلفة هو الإبدال الحاصل بين ما يُعرف بحروف الصفيير وهي: السين، الصاد، الزاي، ويمكن أن نرسم هذا الإبدال بين هذه الأصوات الثلاثة في المخطط الآتي:



وفي الجدول الآتي نعرض آراء العلماء في مخارج هذه الحروف الثلاث وما جاورها من أصوات في الكلمات التي حصل فيها الإبدال مع ذكر صفاتها:

الحروف	مخرج الحرف	صفات الحروف
الصاد	أسناني لثوي عند	مهموس، رخو(احتكاكي)، مطبق، مفخم، مستعل.
السين	المحدثين	مهموس، رخو(احتكاكي)، منفتح، مرقق، مستفل.
الزاي		مجهور، رخو(احتكاكي)، منفتح، مرقق، مستفل.
الذال		مجهور، شديد(انفجاري)، منفتح، مرقق، مستفل.

فبإجراء المقابلة بين حروف الصفيير والذال -فيما يخص إبدال الصاد سيناً في نطقهم سادق بدل صادق، نلاحظ أنّ العلاقة الأفقية (على المحور التركيبي) بين الصاد والذال هي القرب في المخرج فالصاد أسناني لثوي أمّا الذال لثوي أمامي، وهناك اختلاف تام بينهما في الصفات كما هو موضح في الجدول أعلاه، مما يجعل ثقلاً في النطق بسبب التنافر بين الصوتين مما يجعل الصاد تبدل سيناً، أمّا العلاقة العمودية (على المحور الاستبدالي) بين الصاد والسين فالذي سوّغ هذا الإبدال بينهما هو أنّه من الجدول نلاحظ تجانس بين الحرفين لاتفاقهما في المخرج والصفة فكلاهما مهموس ورخو، ويدخل هذا النوع من التغير فيما يسميه رمضان عبد التواب التغيرات التركيبية، وحدث هذا الإبدال لتسهيل النطق وتخفيفه على الجهاز النطقي، وهذا ما يفسر حدوث هذا التطور في صوت الصاد إلى السين، واختيار

-على المحور الاستبدالي-السين بدل أختها الزاي يجعلنا نبحث في المبررات الصوتية لهذا الاختيار، فنجد أن المبرر الذي نرجحه هو أنّ الدال مجهور والسين مهموس والزاي مجهور، فالناطق لجأ إلى السين بدل الزاي طلباً لأيسر السبل لما رآه أنّ في تجاور المجهور للمهموس فيه خفة في النطق.

أمّا فيما يخص إبدال الصاد بالزاي في نطقهم كلمة أزدياء بدل أصدقاء، ما يفسر هذا التطور هو تجاور الصاد والدال في هذا السياق، فيجعل النطق عسيراً وأثقل على الناطق فيلجأ إلى هذا الإبدال، وهنا نرجح أنّ اختيار الزاي في العلاقة العمودية (على المحور الاستبدالي) على أختها السين هو تدخل قانون الأقوى فالزاي أقوى من السين؛ لأنّها تتصف بالجهر في حين السين الهمس، والجهر صفة قوة.

وأمّا إبدالهم السين زائاً في قولهم فازد بدل فاسد نفسه بتجاوز السين والدال فتأثرت السين المهموسة بالدال المجهورة تأثراً رجعياً (مدبر) ناقصاً متصل وهنا يتدخل قانون الأقوى، فحدث ما يسمى قانون المماثلة الذي "يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب"³⁸ فأبدلت السين زائاً؛ لاتفاق الدال والزاي في الصفة، فالزاي مجهورة مثل الدال ليحدث انسجام صوتي فانتقال الناطق من المهموس إلى مجهور يجعل فيه نوعاً من التنافر أو العسر في النطق، واختيار الزاي على أختها الصاد ما يفسره هو أنّ الدال والصاد مختلفتين في الصفات اختلافاً تاماً والزاي تتفق معها في جميع الصفات ما عدا اختلافهما في كون الزاي رخوة والدال شديدة.

وإبدالهم السين صاداً في قولهم صور، صوق، صورة بدل سور، سوق، سورة، فمسوّغه الصوتي هو أنّ العلاقة بين السين والصاد على محور الاستبدال هو كونهما من مخرج واحد، وتتفقان في صفات الهمس والرخاوة، ويختلفان في بقية الصفات فالصاد مطبقة، مفخمة، مستعلة على عكس السين منفحة، مرفقة، مستفلة، فهما متناظران فيما يخص هذه الصفات خاصة الإطباق فسيبويه يقول: "لولا الإطباق لصارت...الصاد سيناً"³⁹ وتعتبر هذه الصفة من صفات القوة فأختار المتكلم بهذه اللهجة الحرف الأقوى على الضعيف.

خاتمة:

وفي ختام بحثنا الذي تتمحور فكرته الأساسية حول رصد ظاهرة الإبدال الصوتي في أحد اللهجات العربية المعاصرة وهي لهجة أهل منطقة الجلفة، وتفسيرها في ضوء القوانين العامة للتطور اللغوي، نود أن نلخص أهم ما انتهينا إليه من نتائج على النحو الآتي:

وضح البحث أن التغيرات التي أصابت الأصوات تارة تكون من التغيرات التاريخية مثل إبدال الغين قافاً، وتارة أخرى من التغيرات التركيبية التي تحدث نتيجة تفاعل الأصوات المتجاورة، فتأثر في بعضها البعض مثل الإبدال بين أصوات الصفيير.

بين البحث كيفية تفسير هذه التطورات التي تصيب الأصوات بإبدالها مكان بعضها البعض، باللجوء إلى معطيات صوتية تتمثل في مخارج وصفات هذه الأصوات، بإجراء مقابلة بينها قصد الوصول إلى مسوِّغات هذا الإبدال. حاول هذا البحث أن يكشف عن أنّ أهم قانون يجعل المتكلمين بلهجة الجلفة يلجؤون إلى إبدال الأصوات مكان بعضها الآخر، هو قانون السهولة والتيسير وفي أحيانٍ أخرى يعمل مع قانون الأقوى جنبًا إلى جنب. في ختام كلامنا ثلّفت أنظار الباحثين إلى العناية بدراسة لهجة الجلفة خاصة وأحوالها العربية المعاصرة، وبحث ما تشترك فيه من ظواهر، وما تميّز به عن غيرها بالمقارنة بينها، كما لابد لدراساتهم أن تتوسع في بحث هذه اللهجات لتشمل جوانب أخرى غير الصوتيّة من الصرفيّة والنحويّة والدلاليّة والتداوليّة والبلاغيّة.

المراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش.
- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط 05، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975م.
- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط 03، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م.
- ابن يعيش يعيش بن علي بن أبي السرايا محمد بن علي، شرح المفصل للزحشري، ج 05، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1422هـ-2001م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، مح خليل إبراهيم جفال، ج 13، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاح في فقه اللغة وسنن العربية، مح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، مح عبد السلام محمد هارون، ج 03، ط 04، ج 04، ط 03، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.
- رُنْجِي كمال، الإبدال في اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، 1980م.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ-1990م.
- رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط 02، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، مح محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ط 03، دار التراث، القاهرة.
- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1966.
- عبد الله أمين، الاشتقاق، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ-2000م.
- فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن، 1425هـ-2004م.

الهوامش:

- 1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاح في فقه اللغة وسنن العربية، مح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ص 333.
- 2- ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعملته وقوانينه، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ-1990م، ص 20.
- 3- رنجي كمال، الإبدال في اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، 1980م، ص 05.
- 4- ينظر إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط 03، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 59.
- 5- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مح محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ط 03، دار التراث، القاهرة، ص 460.
- 6- المرجع نفسه.
- 7- نقلاً عن رنجي كمال، المرجع السابق، ص 106.
- 8- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، ج 13، مح خليل إبراهيم جفال، ج 13، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م، ص 274.
- 9- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1966، ص 73.
- 10- ينظر عبد الله الأمين، الاشتقاق، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ-2000م، ص 352.
- 11- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي...، مرجع سابق، ص 09.
- 12- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط 05، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975م، ص 230.
- 13- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي...، المرجع السابق.
- 14- المرجع نفسه.
- 15- ينظر نفس المرجع، ص 24.
- 16- وهي "تلك التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي، في جميع سياقاته صوتاً آخر" ينظر المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- 17- ينظر فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن، 1425هـ-2004م، ص 37.
- 18- وهي "التي تصيب الأصوات، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات، بعضها ببعض في كلمة واحدة" أي التي تحدث نتيجة تجاور الأصوات ووقوعها في سياق واحد فتأثر في بعضها البعض، ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي...، مرجع سابق.
- 19- ينظر فوزي الشايب، المرجع السابق، نفس الصفحة.
- 20- ينظر المرجع نفسه، نفس الصفحة، وكذلك ص 61.
- 21- المرجع نفسه، ص 24.
- 22- المرجع نفسه، ص 61.
- 23- نفس المرجع.
- 24- المرجع نفسه، ص 252.
- 25- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، مح عبد السلام محمد هارون، ج 03، ط 03، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص 342.
- 26- المرجع نفسه، ج 04، ص 430.
- 27- فوزي الشايب، المرجع السابق، ص 189.
- 28- المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- 29- رنجي كمال، المرجع السابق، ص 99.
- 30- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مرجع سابق، ص 61.
- 31- رنجي كمال، المرجع السابق، ص 102.
- 32- سيبويه، المرجع السابق، ج 03، ص 543.

- ³³ - ابن يعيش يعيش بن علي بن أبي السرايا محمد بن علي، شرح المفصل للزمخشري، قدم له إميل بديع يعقوب، ج 05، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1422هـ-2001م، ص 265.
- ³⁴ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- ³⁵ - سيبويه، المرجع السابق، ص 544.
- ³⁶ - سورة الفلق، الآية 03.
- ³⁷ - سورة الفاتحة، الآية 07.
- ³⁸ - رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط 02، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص 42.
- ³⁹ - سيبويه، المرجع السابق، ج 04، ص 436.